

المقدمة

إن الطب النفسى عندى هواية قبل أن يكون مهنة . . . فناً . . . كالرسم
والموسيقى والقصص . . . الإنسان عادة من هواة الأئين . . . إننا نهوى الأغاني
التي فيها الأئين ، ونهوى قراءة القصص الحزينة لأنها تملأ صدورنا بالأئين
وتشد الدموع من عيوننا . . .

إن الإنسان إن لم يحزن على نفسه بحث عن شخص آخر يحزن عليه ،
أو يتمثل نفسه بطل إحدى القصص المثيرة ، وتحمل ما يعانده البطل من
عذاب ، وألم وحزن . . . وأنا أهوى أئين مرضاى ، وليس معنى ذلك أنى أتلذذ
بعذابهم . . . أبداً ولكنى أعيش فى عذابهم وأحاول مساعدتهم ، وأسعد
براحتهم . . .

مرضاى لهم قصص عجيبة . . . قصص الإنسانية عندما تتعزى من
ثيابها ، وترفع عن وجهها القناع . . . القناع الذى يفرضه علينا المجتمع . . .
ثم تبدو النفس البشرية كما هى . . . غابة كثيفة موحشة تنمو فيها أشجار
مفزعة . . . شجرة الخوف ، شجرة الأثانية ، شجرة الحقد وشجرة الغيرة . . .
و . . . و . . . وتحت أقدام الأشجار زهور رقيقة تحاول عبثاً أن تصل إلى نور
الشمس . . . زهرة الحب . . . زهرة المعرفة . . . زهرة الأومة . . . وزهرة التعاون
الاجتماعى . . . و . . .

وعملى هو أن أجوس خلال الغابة . وفى يدى مصباح خافت الضوء .

لأكتشف أشجارها المفرعة ، وهضابها وبراكينها . . وأحرص على ألا أظأ بقدمي إحدى هذه الزهور الرقيقة بل أحنو عليها وأتعهدا حتى تثب وتصل إلى نور الشمس . . وتسعد بالحياة . . هذه هى مهنة الطب النفسى . .

فالطب النفسى من بعض جوانبه على الأقل ، هو مهنة الحياة مع الناس فى متاعبهم ومعاناتهم ومخيمهم : وليس أمام الطب النفسى فى ذلك خيار ، ولا له عنه بديل . والأداة الرئيسية فى عمل الطبيب النفسى بالإضافة إلى أمانته وعلمه ، أن يصنى فيحسن الإصغاء ، لأنه بالإصغاء يعطى مريضه فرصة للتنفيس عما يصدره ، والشعور بأن هناك إنساناً قادراً يهتم بأمره . . وهذا فى ذاته باعث على اطمئنانه . والاطمئنان خطوة أولى وحتمية لرؤية المشاكل فى أبعادها الحقيقية . ثم لأنه بالإصغاء يعطى نفسه فرصة إلمام أشمل بالظروف التى اكتنفت حياة المريض وأسهمت فى انبثاق مشكلته ، وتصورها ، حتى صيغت فى الصبورة التى دفعت به إلى الطبيب يسأل عونته ويطلب مساءلته .

فالطبيب النفسى يستطيع كذلك بالإصغاء أن يدرك ما يجرى فى العقل الباطن وأن يتحكم فيه : لأن ذلك هو الطريق الأول إلى أعلى مراتب السعادة فمن العقل الباطن ينبع الخيال وتنفجر قوى الإبداع والابتكار . . فى حين أن الجهل بالعقل الباطن يؤدى إلى شروده ، وهذا كثيل بالقضاء على صاحبه ، إما ببطء عن طريق إصابته بالمرض العقلى أو الانحرافات الخلقية على أنواعها ، وإما أن يأتى الدمار سريعاً فى صورة جرائم وحشية وأعمال من العنف المخيف .

فمن طريق اكتشاف محتويات العقل الباطن يمكن فتح أبواب الأمل أمام كثيرين ممن يترددون في مهاوى اليأس والقنوط ، وذلك عن طريق التفهم العميق في محيط تربية النشء ، وتوضيح الأسباب الدافعة للانحراف ، وهشة العوامل على الحماية من الانحرافات الخلقية المتعددة . . . فقد تبين من التحليل النفسي أن هناك قوى مجهولة توجهنا في معظم الوقت . . . ونحن بكشفنا الستار عن عناصر هذه القوى ، نزيل الضغط عن النفس ونعيد المرء إلى طريق السلامة .

في الجزء الأول من كتابي هذا أقدم عرضاً لبعض الحالات المرضية التي عرضت علىّ واكتشفتها وقمت بعلاجها بنجاح . كانت معظم أسباب الاعتلال بها هي نتيجة الأخطاء التربوية التي يرتكبها الأهل في تنشئتهم لأبنائهم ، وحرمان طفولتهم من المناخ الصحي السليم . فترسب آثارها في قرارة عقولهم الباطن ، وتظل تكبر وتنمو بمضى الوقت إلى أن تنفجر بصورة مدمرة .

وقد حرصت على أن أقوم بالتحليل النفسي لكل حالة حتى يمكن معرفة الأسباب والدوافع الكامنة والمترسبة في العقل الباطن والتي تؤدي فيما بعد إلى الانحراف ثم توضيح الأخطاء التربوية التي ارتكبها الأهل في كل حالة ، حتى يستطيع الآباء والأمهات الاستفادة من قراءتها وتجنب الوقوع في هذه الأخطاء . وبذلك نستطيع أن نقي الأبناء من الاضطراب النفسي أو الانحراف ونضمن لهم الحياة السعيدة الهانئة في المناخ النفسي الصحي . أما الجزء الثاني من الكتاب فقد اخترت بعض المواضيع الحية التي تمس حياة أبنائنا ، والتي يحتاج الآباء إلى معرفتها كي يستطيعوا أن يساعدوا

أبناءهم على أن يحيا حياة هادئة متزنة أساسها التعاون والمحبة والإيثار وحب الغير ، بعيدة عن الحقد والكراهية والأنانية والغيرة . وبذلك نسعد بهم ويفخر الوطن بأعمالهم .

وأخيراً ، إذا استطاع هذا الكتاب بعد ذلك أن يلتقي ولو قسباً خافتاً من الضوء على أصول التنشئة النفسية للطفل التي كثيراً ما يهلك فيها الظلام ، وأن ينه أذهان الآباء والأمهات إلى ما في ذلك من خير وسعادة لأبنائهم ، ومساعدتهم عن طريق عرض الحالات الواردة في هذا الكتاب من رؤية أفضل لمشكلات أبنائهم النفسية وتناول سليم لها . وأن ينير السبيل أمام القائمين والمشرفين على تربية الطفل إلى طريق المعرفة الصحيحة للتنشئة النفسية للفرد في المراحل المختلفة ، فإذا استطاع أن يفعل هذا أو شيئاً منه فذلك مارجوت ، وما قصدت إليه .

د . كلير فهير

إحصائية الطب النفسي

تحريراً في ١٩٧٥